٨- باب
من تبرك بشَجر أو حجر ونحوهما

وَقَوْلِ اللَّهِ - تَعالَى -: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] الآياتِ.

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكفُونَ عِنْدَهَا وينُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا «ذَاتُ أَنْوَاطٍ»! فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ! قُلْتُمْ - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ -كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٨]. **لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ[١].

○○○

الشرح:

ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب آية وحديثا واحدا.

والكلام على هذا الباب في ثلاثة فصول:

* * *

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (٢١٨٠)، وأحمد في «المسند» (٢١٨٩٧)، وصححه الألباني.

الفصل الأول: مقصود الباب، وموضوعه العام

مقصود هذا الباب: الإشارةُ إلى صورة من صور الشرك، وبيان التبرك الممنوع، والتحذير منه. والتوحيد يتجَلَّى ببيان ضِدِّه، كما قيل: وبضدها تتميز الأشياءُ، والشِّرك ضدُّ التوحيد.

وقولُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الترجمة: «باب مَن تَبَرَّك بشجر أو حجر ونحوهما»، يُحتمل أن تكون «مَن» فيه شَرطية، و«تَبَرَّك» فعل الشرط، والجواب محذوف تقديره: فقد أشرك بالله.

ويُحتمل أن تكون موصولة فيكون معناها: باب بيان حُكم من تَبَرَّك بالأشجار والأحجار ونحوها، وما يترتب عليه من الوعيد.

* * *

الفصل الثاني: المباحث الموضوعية

مسألة البركة والتبرُّك مما زلت فيه الأقدام، وضلت فيه الأفهام، وعلى طالب العلم أن يحرِّرَها ويضبط صورها وأحكامها بلا غُلُو ولا جفاء.

المبحث الأول: معنى البركة، وما يتصل بها من ألفاظ[1]:

«**التَّبَرُّك**»: هو طلب البركة.

و«**البَرَكَة**» تُطلق على معنيين: الأول: الثُّبُوت، والثاني: النماء والزيادة.

وهي مأخوذة من البِرْكَة؛ لكون مائها ثابتا وكثيرا؛ لأنه يجتمع ويستقرُّ فيها.

فالمراد بالبَرَكة: كثرة الخير، وثبوته في شيء ما. سواء كان هذا الشيء آدميًّا أو جمادا؛ كالحجر والشجر.

و«**التَّبرك بِالشَّيء**»: هو طلب البركة بواسطته.

فيكون معنى الترجمة (**بابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ**) أي: طلَبَ البركة بواسطة ما ذُكِر.

---

(١) يُنظر لهذا المبحث: مادة «برك» في: «لسان العرب» (١٠/ ٣٩٦)، و«تاج العروس» (٢٧/ ٥٩)، وغيرها كثير.

«**والتَّبْرِيك**»: الدعاء بالبركة، وفي الحديث أنَّ أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لمَّا ولدت عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أتت به النبي ﷺ: فـ«حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ ثُمَّ دَعَا لَهُ، **وَبَرَّكَ عَلَيْهِ**»(١)، أي: أي دعا له بالبركة.

ومن الألفاظ المُشتقَّة من هذه المادَّة: لفظ «**تَبَارَكَ**»، ومعناه: تعالى وتعاظَم وتقدَّس، وهذه اللفظة (تَبَارك) لم يُوصف بها أحدٌ في الكتاب والسُّنة إلا الله -عزَّ وجلَّ-، فلا يُقال في حق المخلوق «تَبَارك فلان».

ورجح ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن معنى «تبارك» أقرب إلى الوصف من الفعل؛ لأنَّ تبارك لازم، وبارك مُتعدٍّ(٢).

○○○

المبحث الثاني: أقسام التبرك. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التبرك المشروع:

التبرُّك المشروع: هو ما دَلَّ الدليل على ثُبوت الخير فيه، ومشروعية التَّبرك به. فإذا ثبت هذا فهو تبرك مشروع، وهذا يقع في الأشخاص، والأزمان، والأعيان، والأماكن.

ومن أمثلته:

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٩٠٩)، ومسلم (٢١٤٦).

(٢) يُنظر: «بدائع الفوائد» (٢/ ١٨٦).

أولا: القرآن الكريم: قال الله - تعالى -: ﴿**وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ**﴾ [الأنعام: ٩٢]، فالقرآن مبارك، وتُطلب به البركة.

ثانيا: آثار النَّبي ﷺ: فهي مباركة، تُطلب بها البركة، وهذا من خصوصياته ﷺ. ولهذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يحرِصون على آثاره ﷺ، من شَعرِه، وعرَقِه، وكادوا يقتتلون على فضل وضوئه.

ثالثا: السَّحور للصائم: يدلُّ على بركتِه قولُ النبي ﷺ: «**تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً**»(١).

رابعا: البيت الحرام: دلَّ على بركتِه قول الله - تعالى -: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٦].

خامسا: الاجتماع على الطعام، وذِكْر اسم الله عليه: فهذا من أسباب البركة لقوله ﷺ: «**اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ**»(٢).

سادسا: الزيتون: فشجرته مباركة، كما جاء في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ**﴾ [النور: ٣٥].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **حسن**: أخرجه أبو داود (٣٧٦٤)، وابن ماجه (٣٢٨٦)، من حديث وحشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني والأرناؤوط، وفي أوله سبب ورود.

سابعا: التبكير: فهو من أسباب حصول البركة؛ لقوله ﷺ: «**بورِكَ لأمَّتي في بُكورِها**»[1]، فمن أراد الإنجاز والإنتاج في عمله - عِلما أو تجارة أو صناعة أو غير ذلك -، فعليه بالبُكور.

ثامنا: الخيل: فهي من الأعيان المباركة، كما يدل عليه قول النبي ﷺ: «**الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالمَغْنَمُ**»[2].

المطلب الثاني: التبرك الممنوع، ومتى يكون التبرك شركا؟

التبرك الممنوع: هو ما لم يتحقق فيه ضابط التبرُّك المشروع. ومنه ما ذُكِر في حديث الباب من قصة «ذات أنواط»، وإنكار النبي ﷺ عليهم ذلك. ومن أمثلته أيضا: التَّبرك بآثار الصالحين؛ كثيابهم وبقايا طعامهم.

- **والتبرك الممنوع له صورتان:**

الأولى: أن يعتقد النَّفع في المتبَرَّك به استقلالا من دون الله، بمعنى: أن يعتقد أن هذا الذي يُتَبرَّك به ينفع ويضر استقلالا بذاته. ولا ريب أنَّ هذا من الشرك الأكبر.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٦٠٦)، والترمذي (١٢١٢)، وابن ماجه (٢٢٣٦)، وصححه الألباني.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٨٥٢) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٨٧٣)، من حديث عروة البارقي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومثاله: من ذَهب إلى شجرة مُعظَّمة وأخذ يتمسح بها، وفي قلبه تعظيمٌ لها، واعتقاد أن هذه الشجرة تجلب له النفع، أو تدفع عنه الضر. فإذا قام بقلبه هذا الاعتقاد، فقد وقع في الشرك الأكبر المُخرِج عن الملة. وهو شرك في الربوبية؛ لأن هذه الأمور من أفعال الله – تعالى –.

وعن سالم بن أبي الجَعدِ عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ حَضَرَتِ العَصْرُ، وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ غَيْرَ فَضْلَةٍ، فَجُعِلَ فِي إِنَاءٍ فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ وَفَرَّجَ أَصَابِعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**حَيَّ عَلَى أَهْلِ الوُضُوءِ، البَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ**». فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ وَشَرِبُوا، فَجَعَلْتُ لا آلُو مَا جَعَلْتُ فِي بَطْنِي مِنْهُ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ بَرَكَةٌ. قُلْتُ لِجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِئَةٍ[1].

وعند التأمل فيما صنعه المشركون المذكورون في الحديث، نجد أنهم جمعوا ثلاثة أمور: التعظيم لتلك الشجرة، والعكُوف عندها، كما قال في الحديث: «**وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكفُونَ عِنْدَهَا**»، وطلب البركة منها.

والثانية: أن يعتقد المتبرِّك بشيء أنه سبب للبركة، مع كون هذا الشيء لم تثبتْ له البركة.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٦٣٩) وفي مواضع أخرى، واللفظ له، ومسلم (١٨٥٦).

مثل أن يذهب إلى قبر، أو شجر، أو حجر، ويتمسَّح به، يعتقد أن هذا التَّمسُّح سبب لحصول مطلوبه؛ كشفاء مريض، أو تيسُّر رزق، أو زواج أو حصول ولد، أو غير ذلك.

فهو لم يعتقد فيه التأثير بذاته، وأنه يفعل ذلك استقلالا، وإنما اعتقد أنه سبب في حصوله. فلو قُدِّر حصول المطلوب، وسئل: من أحدث ذلك؟ لقال: الله. فإن قيل له: لم جئت إلى هذا، وتمسحَّت به؟ لقال: لأنه سبب في حصوله.

وها هنا أمر يجب التفطن له، وهو أن قضية الشرك مبنية - في كثير من الصور على اعتقاد القلب - فبحسب ما يقوم في القلب من الاعتقاد يختلِف الحُكم ويتأثر. والحكم في هذه الصورة: أنه شرك أصغر، بناء على قاعدة الأسباب السابق ذكرها.

والحاصل أنه يُنظر في هذه المسألة إلى جانبين:

الأول: المُتبرَّك به، بأن تكون بركته ثابتة.

الثاني: صفة وكيفية التبرُّك، بأن تكون مشروعة.

○○○

المبحث الثالث: أمثلة تطبيقية:

المراد بهذا المبحث ترسيخ ما سبق من التأصيل لهذا الموضوع؛ بالتطبيق على بعض الأمثلة.

أولا: المسجد الحرام:

المسجد الحرام بُقعة مباركة، والتبرك بها يكون بالاستكثار من الطواف - الذي لا يكون في غيره -، ومن الصلاة التي تُضاعف فيه بمئة ألف صلاة[1]. والكعبة مباركة بنص القرآن: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٦].

وليس من التبرك به التمسُّح بجدرانه أو التزام أعمدته مثلا.

ثانيا: التمسح بأستار الكعبة:

وسبق أنَّ الكعبة بناء مبارك، لكنَّ التمسح بسُتورها له صور:

الأولى: أن يعتقد النفع فيها استقلالا، وأنها جالبة للخير بذاتها، أو فَعَل ذلك لأنها واسطة إلى الله: فهذا شرك أكبر.

الثانية: أن يفعل ذلك طلبا للبركة منها، وأنها سبب لحصولها: فهذا شرك أصغر.

الثالثة: أن يفعل ذلك تعبُّدا وتقربا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: فهذا بدعة.

وفرق بين التعبُّد والتبُّرك؛ فنحن نمسح الحجر الأسود ونقبِّلُه؛ تعبُّدا لا تبرُّكا، كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «واللهِ، إنِّي لَأُقَبِّلُكَ، وَإنِّي أعْلَمُ أنَّكَ حَجَرٌ، وَأنَّكَ لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ، وَلَوْلا أنِّي رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبَّلَكَ ما قَبَّلْتُكَ»[2].

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٥٩٧) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٢٧٠).

وعلامة قَصدِ التبرُّك ما يفعله البعض أنه يمسح بيده على صدره، أو على وجهِه، أو على صدر طفلِه ووجهه، وهذا ليس بمشروع.

الرابعة: أن يفعله لينظر ملمسه ومادة صنعه: فهذا جائز، لكنَّه لا ينبغي لمن يُقتدى به.

ثالثا: العالم بالشريعة:

علماء الشريعة مباركون؛ بمعنى: أنَّ فيهم بركةً لما يحملون في صدورهم من علم وبركة القرآن والسنة. والتبرُّك بالعالم يكون بأن يُنهل من علمِه ويُعمل به، لا بأن يُتَمَسَّح ببدنه أو بثيابه.

والتبرُّك بالذات خاص بالنبي ﷺ، كما كان الصحابة يتبركون بشعره وعرَقه، ويقتتلون على فضل وضوئه ﷺ. أما غيره من الصالحين والعلماء فلا يُتبرك بذواتهم؛ لأمور:

منها: أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يفعلوا ذلك مع سادات الصالحين، ورؤوس العلم؛ كالخلفاء الأربعة وبقية العشرة، وكابن مسعود وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وغيرهم. ولم يفعله التابعون مع الصحابة، وكل خير في اتباع من سلف.

ومنها: أن هذا ذريعة إلى الغُلُو فيهم، فربَّما جَرَّ إلى الوقوع في الشرك بسبب ذلك، كما حصل لقوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومنها: أنَّ فيه فتنة عظيمة للمتبرَّك به، والحي لا تؤمن عليه الفتنة.

ولهذا لمَّا جاء رجل إلى الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فمسح يده على ثيابه ومسح بهما وجهه، غضب الإمام وأنكر ذلك أشد الإنكار، وقال: عمن أخذتم هذا الأمر؟![1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن بركة الرجل: تعليمُه للخير حيث حَلَّ، ونصحه لكل من اجتمع به، قال الله - تعالى -؛ إخبارا عن المسيح: ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ**﴾ [مريم: ٣١]، أي: مُعلِّما للخير داعيا إلى الله، مُذَكِّرا به مُرَغِّبا في طاعته، فهذا من بركة الرجل، ومَن خلا مِن هذا؛ فقد خلا من البركة، ومحقت بركة لقائه»[2].

رابعا: القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ**﴾ [ص: ٢٩]، ومن بركة القرآن: أنه شفاء، ومن قرأ منه حرفا فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها[3]. والتبرُّك به يكون بتلاوته، وطلب الهداية، والاستشفاء به، لا بالتمسح به، أو وضعه على السيارة، أو تعليقه على الجدران.

---

(١) «الحكم الجديرة بالإذاعة» ص ٤٧.

(٢) «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه» ص ٥.

(٣) ينظر: سنن الترمذي (٢٩١٠).

خامسا: ليلة الإسراء:

لا شكَّ أنَّ الإسراء كان خيرا وبركة على المسلمين، لكنَّ ليلته لم تكن غير ظرف له؛ ولذلك لم يرد فيها شيء، فلا يصح أن نتبرك بها لذاتها من كل عام.

○○○

المبحث الرابع: حكم بعض الألفاظ المتعلقة بالبركة:

أولا: تباركت علينا:

سبق معنا بيان معنى كلمة «تبارك». وفي جواب للشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «(تبارك) بهذه الصيغة يقولون: إنها خاصة بالله، والعوام لا يقصدون المعنى الخاص بالله أبدا، وإنما يقصدون بقولهم: (تباركت علينا) أنه حصل في مجيئك بركة وخير. [والبركة يصح إضافتها إلى الإنسان، قال أُسيد بن حضير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - لما نزلت آية التيمم بسبب عِقد عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا الذي ضاع منها-: «مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ، يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ»[1]. ثم هذه البركة إن كانت بركة صوفية، بمعنى: أن البركة في شخصه فقط؛ فهذه حرام، وإن كانت البركة أنه أسدى إليهم علما، بأن جلس وعلمهم مثلا، أو نفعهم بمال: فهذا حق. وإن لم ينفعهم: فهو كذب لا يجوز»[2].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٣٤) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٣٦٧).

(٢) ينظر: «لقاءات الباب المفتوح» (٢٢٧ / ١٥)، والزيادة من مجموع فتاويه (٣/ ٩١).

ثانيا: زارتنا البركة:

هذه من العبارات الدارجة، ولها حالان - بحسب من قيلت فيه -:

الحال الأولى: أن يكون فيه بركة ظاهرة، من عِلم ودعوة، أو نفع بمال وجاه ونحو ذلك.

فهنا: إنْ قصد البركة المعنوية بما يحصل من أثر علمه وماله: فجائز، والأَولى تركُها؛ لما فيها من المدح، ولما يخشى منها من الفتنة والعُجب، لا سيما مع هذا التعريف «البركة»، ولما فيها من الإيهام عند عوام السامعين الذين يظنون المراد: بركة الذات.

وإن قصد البركة الذاتية «الصوفية»: فلا يجوز. ويختلف الحكم بحسب المعتقَد.

الحال الثانية: ألا يكون فيه بركة ظاهرة: فهذه كذب، وإطراء يتضمن مفاسد كما سبق.

فالأَولى استبدالها بعبارة أخرى؛ مثل: مرحبا، حياكم الله، ونحوها.

وكذا عبارة «كلُّه بركة» أو «كلُّك بركة»: فهذه لو كان المَقول فيه صاحب بركة في علمه أو ماله فينبغي اجتنابها؛ لأنه مهما بلغ فلا يكون «كله بركة»، مع ما فيها من الإطراء، وخشية العُجب والفتنة.

ثالثا: هذا من بركاتك أو بركات فلان:

وهذه جائزة إن كان حصل منه خير ينفع الناس بعلم أو دعوة أو مال، ونحو ذلك.

وقد أثبت الكتاب والسنة البركة لبعض الناس، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ**﴾ [مريم: ٣١]. ولَّما نزلت آية التيمم بعد إقامتهم على عِقد عائشة، قال أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ»(١). ولما تزوَّج النبي ﷺ جُوَيْرِية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال الناسُ: أصهار رسول الله ﷺ؛ فأرسلوا ما بأيديهم. قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا، أُعْتِقَ فِي سَبَبِهَا مِئَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ»(٢).

* * *

(١) تقدم تخريجه.

(٢) **حسن**: أخرجه أبو داود (٣٩٣١)، وأحمد (٢٦٣٦٥)، وحسنه الألباني.

الفصل الثالث: التعليق على النصوص، وربطها بالباب

النص الأول: قول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] الآياتِ.

ومناسبة الآية للترجمة: أن عِبادة المشركين لها إنما كانت بالتفات القلوب رغبةً إليها في حصول ما يرجونه ببركتها؛ من جلب نفع أو دفع ضر، فصارت أوثانًا تُعبد من دون الله(١).

و«**اللَّاتُ**»: صخرة بيضاء منقوشة، وعليها بيت بالطائف له أستار وسَدَنة. اشتقوا اسمها من الله - تعالى -. وحُكِي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومجاهد، والربيع بن أنس: أنهم قرأوا «اللَّاتَّ» بتشديد التاء، وفسروه بأنه كان رجلا يَلُتُّ السَّوِيقَ للحجيج في الجاهلية، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.

و«**العُزَّى**»: كانت شجرة عليها بناء وأستار بنَخْلَة، وهي بين مكة والطائف.

و«**مَناة**»: صنم بالمُشَلَّلِ عند قُدَيْد، بين مكة والمدينة.

○○○

النص الثاني: عن أبي واقِد اللَّيثِيِّ قال: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكفُونَ عِنْدَهَا وينُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا «ذَاتُ أَنْوَاطٍ»! فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

(١) «حاشية كتاب التوحيد» ص٩١.

اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ! قُلْتُمْ - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ -كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٨]. **لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»(١).

قال الشيخ ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(ويَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ)، أي: يعقلونها عليها لتنالهم بركتها؛ فعبادتهم لها بالتعظيم والعُكوف والتبرك، وبهذه الثلاثة (العكوف والتعظيم والتبرك) عُبِدت الأوثان من دون الله»(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة؛ لتعليق الأسلحة والعُكوف حولها، اتخاذَ إله مع الله - تعالى -، مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به، ودعائه، والدعاء عنده؟! فأيُّ نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر، لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون؟!»(٣).

* * *

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «حاشية كتاب التوحيد» ص٩٣.

(٣) «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٧٢).

٩- باب
ما جاء في الذبح لغير الله

وَقَوْلِ اللهِ - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ...﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] الآية.

وقولِهِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

عَنْ عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَعَنَ اللَّهُ مِنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ مَنَارَ الْأَرْضِ**»[1]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ**». قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ. قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُهُ. قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٧٨).

ذُبَابًا، فَخَلَّوا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ! وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ. فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّهِ - عزَّ وجَلَّ -، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ؛ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ»[1]. رَوَاهُ أَحْمَدُ.

○○○

الشرح:

ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب آيتين وحديثين.

والكلام عليه في ثلاثة فصول:

❋ ❋ ❋

(١) **موقوف صحيح، ولم أقف عليه مرفوعا:** أخرجه أحمد في «الزهد» (٨٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٠٣٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٦٢)، جميعهم من حديث طارق بن شهاب عن سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وقد ذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٨٢٩)، وصححه، وعلَّق عليه تعليقات نافعة تتعلق بهذا الباب.

الفصل الأول: مقصود الباب، وموضوعه العام

بيان نوع من أنواع الشرك الأكبر المضاد للتوحيد، وهو الذبح لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

* * *

الفصل الثاني: المباحث الموضوعية

المبحث الأول: الشِّرك الأكبر:

سبقت الإشارة إلى أن الشرك قسمان: أكبر، وأصغر. وهذا أول موضع يُشار فيه إلى الشرك الأكبر؛ ولذا يحسُن أن نؤصِّل لهذا الباب من خلال المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: ضابط الشرك الأكبر:

«كل شيء فُعِل لغير الله - تعالى - على وجه التعبُّد».

وهذه العبارة - على اختصارها - كافية لبيان حقيقة الشرك الأكبر وضابطه؛ فكل ما تَعبَّد به الإنسان لغير الله فهو شرك أكبر.

المطلب الثاني: حكم الشرك الأكبر:

- الشرك أعظم ما نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنه. قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].
- وهو أول المحرمات كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١].
- ومَن وقع فيه خرج عن الملة.

- وصاحبه خالد مُخلَّد في النار. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].
- وهو الذنب الذي لا يغفره الله - عز وجل-. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].
- وهذا الشرك يُحبِط العمل. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال جلَّ ذكرُه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].
- وتحرُم ذبيحة المشرك شِركا أكبر، بينما تحل ذبيحة اليهودي والنصراني!.
- وصاحب هذا الشرك لا يرِث ولا يُورث، بل ماله لبيت المال.
- ولو مات فلا يُصلَّى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، وإنما يُحفَر له حفرة في البرِّ، ويُلقَى فيها تخلُّصا منه - والعياذ بالله -.

هذه بعض أحكام الشرك الأكبر، وكما هو ملاحظ فإنها أحكام شديدة توجِبُ على المسلم أن يَحذر غاية الحذر، ويُحَذِّر إخوانه من الوقوع فيه.

المطلب الثالث: أقسام الشرك الأكبر:

- **ينقسم الشرك الأكبر - باعتبار محلِّه - إلى ثلاثة أقسام:**

الأول: الشرك الأكبر في الاعتقاد وعمل القلب: ويندرج تحته صور:

١- اعتقاد شريك مع الله - تعالى - في التأثير والتدبير. كمن يعتقد أن الوليَّ الفلاني ينفع ويضر، ويقدر على إنزال المطر وشفاء المرضى.

٢- اعتقاد شريك مع الله - تعالى - في علم الغيب المطلق.

٣- أعمال القلب؛ كالمحبة والرجاء والخوف والتوكل. وستأتي في أبوابها، إن شاء الله - تعالى -.

الثاني: الشرك الأكبر في الأقوال: ويندرج تحته صور:

١- الدعاء.

٢- التوبة والإنابة.

٣- وصف المخلوق بما لا يوصف به إلا الله - تعالى -. كمن وصف فلانا من الخلق بأنه يعلم الغيب أو له الحياة المُطلقة، أو بيده الإحياء والإماتة، أو تصريف الكون. وهذا يقع في بعض الشعر والإطراء.

الثالث: الشرك الأكبر في الأفعال:

وهذا باب واسع، وضابطه: «كل شيء فُعِل على وجه التعبد لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»؛ كالركوع والسجود والطواف والذبح وغيرها.

- **ويمكن أن يقسَّم الشرك الأكبر، باعتبار أنواع التوحيد، إلى ثلاثة أقسام، أيضا:**

الأول: الشرك الأكبر في توحيد الربوبية: كاعتقاد متصرِّف مع الله - عز وجل- في أي شيء من تدبير الكون، من إيجاد أو إعدام، أو إحياء أو إماتة.

الثاني: الشرك الأكبر في توحيد الأسماء والصفات: كمن شبَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بصفات المخلوقين، كاليهود. أو أثبت صفات الخالق للمخلوق، كالعلم المطلق.

الثالث: الشرك الأكبر في توحيد الألوهية: بصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله - تعالى -.

المبحث الثاني: الذبح لغير الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الذَّبْح:

الذَّبْح في اللُّغة: هو الشَّقُّ والقطع[1]. واصطلاحا: إزهاق الرُّوح بقَطع الحُلْقُوم وإراقة الدم.

المطلب الثاني: أقسام الذَّبْح:

ينقسم الذبح إلى قسمين:

القسم الأول: الذَّبح على وجه التَّقرُّب والتعبُّد. وهذا القسم له صورتان؛ توحيد وشرك.

١- **فالتَّوحيد:** أن يكون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا من أعظم القُرَب. ومما يدل على منزلة هذه العبادة أن الله - تعالى - قرنها بالصلاة في موضعين من كتابه كما ذكر المؤلف. قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وقال جلَّ ذكره: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ [الكوثر: ٢].

---

(١) ينظر مادة «ذبح» في: «الصحاح» (١/ ٣٦٢)، و«تاج العروس» (٦/ ٣٦٧)، وغيرها.